جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الخطاب الانهزامى فى شعر الكميت

الدكتورة

إيمان عصام خلف كامل

المدرس بقسم الدراسات الأدبية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا
جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050
الترقيم الدولى الإلكترونى ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب الانهزامى فى شعر الكميت

إيمان عصام خلف كامل
قسم الدراسات الأدبية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: Emanessm89@yahoo.com

الملخص

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح الانهزام في خطاب "الكميت بن زيد الأسدي" الشعري؛ بسبب انتماء الشاعر السياسي لبني هاشم، وتحوّله بعد ذلك لموالاة الأمويين، وبين تشيُّعه للهاشميين ووقوعه تحت سلطة الحُكم الأموي تراءى خطابه الانهزامي واضحًا، وجسَّد هذا الخطاب صورة حيَّة لواقع الحياة السياسية والاجتماعية آنذاك، ودارت الدراسة عبر محورين رئيسيين هما: المحور النظري، وتطرَّقت فيه الباحثة إلى التعريف بمفهوم الخطاب ودوره في عملية التواصل الشعري. ولوحظ أن خطاب الكميت الانهزامي عبر تحليل الشواهد التطبيقية غدا خِطابًا كليًا بالرَّغم من أوجه التعارض التي تضمَّنها.

الثاني: وتمثَّل في البُعد الإجرائي عبر انتقاء النماذج التطبيقية من نتاج الكميت الشعري، ومن خلالها تمَّ رصد تمثلات الشخصية المنهزمة بين أصالة الهوية والرَّغبة المتحولة في شعره، وظهرت تلك التشكلات عبر حقبتين زمنيتين:

الحقبة الأولى: تجلَّى فيها حبه للهاشميين وولائه لهم، وقد عُرِف الكميت بانتمائه السياسي للشيعة الزيدية ومن أشهر شعرائهم، وتُعدُّ مدائحهم فيهم من أجود شعره، وجاءت قصائده في الهاشميين باعثًا قويًا للاصطدام مع بني أميَّة.

الحقبة الثانية: وشهدت تحولًا سياسيًا لشخصية الكميت وانكشفت ملامح الانهزام جليَّةً عنده بسبب وازع الخوف والقلق وترصد بني أمية له، وقد صاحبت أساليب المراوغة، والدهاء، والحيلة، وحُسن التكيُّف مع الأحداث

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السياسية الطارئة ملامح الانهزام في خطاب الكميت الشعري.

وشمل البُعد الإجرائي الحديث عن الملامح الفنية المُشكِّلة لخطاب الانهزام عند "الكميت"، ومنها توظيف بعض العناصر الدَّالة على ملمح الانهزام وتمثَّلت في توظيف رموز(الطلل، الذئب، الشيب) التي اتَّخذ منها الشاعر قِناعًا توارى خلفه للكشف عن هذا الشعور الانهزامي، وظهرت بنية الشعور الانهزامي الداخلي جليَّةً عبر توظيف هذه الرموز.

وتراءى خطاب الكميت الانهزامي حافلًا بمخزون لغوي مُعبِّر عن حالة الانهزام في شتَّى صوره وأشكاله، وكان لذوق الشاعر وقريحته اللغوية أثرهما في الكشف عن الشعور الانهزامي في خطابه، وقامت الصور الشعرية بدورها في تجسيد ملامح الانهزام في خطابه.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الانهزامى ، شعر الكميت ، دراسة شعرية ، ملامح الانهزام .

The defeatist discourse in the poetry of Kumayt

Iman Essam Khalaf Kamel
Literary Studies Department - College of Dar Al Uloom - Minia University - Arab Republic of Egypt
Email: Emanessm89@yahoo.com

Abstract

This study sought to uncover the features of defeat in the poetic discourse of "Al-Kumait Bin Zaid Al-Asadi". Because of the affiliation of the political poet Lubna Hashim, and his conversion after that to the loyalty of the Umayyads, and between his Shiism of the Hashemites and his fall under the authority of the Umayyad rule, his defeatist speech.

This discourse embodied a vivid picture of the reality of political and social life at the time. The study was conducted through two main axes: the theoretical axis, in which the researcher dealt with the definition of the concept of discourse and its role in the poetic communication process. It was noted that the defeatist speech of Kumet through the analysis of applied evidence has become a complete rhetoric despite the contradictions it contained.

The second: the procedural dimension was represented by the selection of applied models from the product of the poetic quantum, and through it the representations of the defeated personality were monitored between the authenticity of the identity and the transformed desire in his poetry, and these formations appeared over two periods of time:

The first era: in it his love for the Hashemites and his loyalty to them were evident, and Kumait was known for his political affiliation with the Zaydi Shiites and one of their most famous poets, and their praises in them were considered one of his finest poetry, and his poems about the Hashemites were a strong source of clash with the Umayyah sons.

The second era: It witnessed a political transformation of the personality of the kumite, and the features of defeat were clearly revealed to him due to the fear and anxiety and the monitoring of his illiterate children.

The procedural dimension included talking about the

technical features that make up the discourse of defeat when "the dead", including the employment of some elements indicative of the feature of defeat, represented by the employment of symbols (the child, the wolf, the gray hair) from which the poet took a mask behind him to reveal this sense of defeatism, and the structure of the feeling appeared My internal defeat is evident by employing these symbols.

The defeatist speech of Kumit appeared filled with a linguistic stock that expresses the state of defeat in various forms and forms. The poet's taste and his linguistic ability had an effect on revealing the defeating feeling in his speech, and the poetic images played their role in embodying the features of defeat in his speech.

Keywords: defeatist discourse, the poetry of the dead, apoetic study, features of defeat.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تهدف هذه الدراسة المعنونة بـــ (الخطاب الانهزامي في شعر الكميت) إلى رصد ملامح الانهزام في خطاب (الكميت بن زيد)* الشعري، ذلك الخطاب الذي عكس صورة حيَّة عن طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية في عصـــر بني أميَّة، وما دار فيها من جدلٍ فكري، وصراع سياسي، واختلاف مـــذهبي أسهم في خلق حِراك سياسي واجتماعي ملحوظ، وقد واكب هـــذا الحِـــراك المجتمعي خطابٌ أدبي موازٍ لشاعرنا موضع الدراسة (الكميت) الـــذي يُعـــدُّ شاعرًا إشكاليًا في مسار التجربة الشعرية فكرًا وإبداعًا، فقد "توزَّع شـــعره في مدح بني هاشم وبني أمية وهما على طرفي نقيض. وهذا يبدو غريبًا من رجل عرف أن الشئ الواحد يمكن أن يقبل الوصفين في ظرفين مختلفين"(١) عاش حياته مرتبطًا بأفكار دينية، سياسية ميَّزت شعره، فبدا نصه الشـــعري – في مُعظمه – منبرًا مناسبًا يُعلن من خلاله انتماءه السياســـي، وخطابًـــا سياسيًا عقائديًا حافلًا بطاقة تعبيرية إبداعية عبر النسيج اللغوي تُنبئ عـــن تجليَّات فكر صاحبه الشيعي، وتكشف عن ملامح الانهزام الكامنة في شـــعره بعدما صارت مقاليد الأمور في يد بني أميَّة.

---

* اسمه الكميت بن زيد، من بني أسد، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار، ولد سنة ســـتين مـــن الهجرة وتوفي سنة مائة وست وعشرين هـــ ، قال عنه الأصفهاني في كتابه (الأغـــاني) " شاعر، مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنها المتعصبين، ومن العلماء بالمثالب المفاخرين، كان في أيام بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية، وكان معروفًا بالتشيّع لبني هاشم مشهورًا بذلك". لمعرفة المزيد انظر: أبو الفرج الأصـــفهاني: الأغـــاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م، ٣٢٨/١٦.

١- مأمون بن محي الدين الجنَّان: الكميت بن زيد الأســـدي الشـــاعر السياســـي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص ٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتأتي أهمية هذه الدراسة في سعيها للاطلاع على خبرة الشاعر الحياتية والسياقات السياسية والاجتماعية المصاحبة، والإفادة منها في تحديد الملامح الفكرية والقيم الإيديولوجية في خطابه الشعري إبان تلك الحِقبة الزمنية المهمة، ومدى انفعال الذات الشاعرة بهذه الأحداث على اعتبار أن الأدب مرآة يطل منها المبدع على واقع الذات الداخلي الذي يُعدُّ انعكاسًا لواقعه الخارجي. وتطمح هذه الدراسة في تقديم قراءة جديدة للخطاب الانهزامي عند الشاعر، وتحاول تفسير إشكالية الهويَّة السياسية المزدوجة عنده (والرَّغبة المتحوِّلة في شعره، وما صحب ذلك من أساليب المراوغة، والدهاء، والحيلة، وحُسن التكيُّف مع الأحداث السياسية الطارئة، وما انطوي خلف هذه الصفات من كمون ومواجهة غير مباشرة لحين ترقَّب الأحداث وإتاحة الفرصة لديه لتغيير المواقف القمعية المفروضة عليه من قِبَل السلطة الحاكمة. ويتطلَّب هذا – بطبيعة الحال – نوعا من الممارسة الهيرمنيوطيقية لِما يبدو مُتناقضًا في خطاب (الكُميت) الشعري، والاطِّلاع على التفاصيل والسياقات المصاحبة للخطاب؛ حيث إن "عملية فهم النص ليست غاية سهلة، بل عملية معقَّدة مركّبة، يبدأ المفسِّر فيها من أي نقطة شاء؛ لكن عليه أن يكون قابلًا لأن يُعدِّل فيها طبقًا لما يسفر عنه دورانه في جزئيات النص وتفاصيله وجوانبه المتعددة"[١]

وقامت هذه الدراسة على انتقاء النماذج التطبيقية من نتاج (الكميت) الشعري التي شكّلت خطابًا شعريًا مُميِّزًا لصاحبه عبر ما تضمَّنته من دلالات تُشئ إلى معاني الانكسار والانهزام والتحوَّل في المواقف السياسية، أمَّا

١- نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م، ص ٢٢.

المنهج المُتَّبع في الدراسة فيتجلَّى في تحليل الخطاب السياسي لدى الشاعر وفق المنهج التحليلي النَّصي؛ لكونه حاضنًا لملامح الانهزام التي ميَّزت ذلك الخطاب في سياقاته المتنوِّعة (السياسية، والاجتماعية، والثقافية)، ومن ثمَّ تتحتَّم ضرورة استقراء تلك الشواهد الشعرية وفق السياقات المصاحبة، وما شهدته حياة الشاعر من صراع مذهبي وجدل فكري ديني أسهم في النهايـــة في خلق صراع سياسي شكَّل فيه الشاعر أحد طرفيه. ويغدو خطاب الشاعر من هذه الوجهة ممارسة اجتماعية ارتبطت بمســـتويات ثلاثـــة " مســـتوى الموقع الاجتماعي، أو المحيط الاجتماعي المباشر الذي يجري فيه الخطاب، ومستوى المؤسسة الاجتماعية التي تُشكِّل منبتًا واسعًا للخطـــاب ومســـتوى المجتمع ككل"[١]

واستنادًا لهذا فإن ملامح الخطاب الأدبي عند الشاعر تشـــكَّلت وفِـــق الممارسة المجتمعية المصاحبة له، ومن خلال المزج بين الـــنصِّ الشـــعري والسياق المصاحب له يُمكن قراءة ملامح الانهـــزام فـــي خطـــاب الكميـــت الشعري وفق المحاور البحثية التالية:

أولًا – مفهوم الخطاب ودوره في عملية التواصل .

ثانيـًا– تمثلات الشخصية المنهزمة بين أصالة الهوية والرَّغبة المتحولة في شعره.

ثالثًا – الملامح الفنيَّة المميِّزة لخطاب الانهزام في شعر الكميت.

رابعًا – لغة وأسلوب الخطاب الانهزامي عند (الكميت) .

١– نورمان فيركلو: الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبـــد القـــادر، مجلـــة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، فلسطين، عدد ٦٤، ٢٠٠٠م، ص ١٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولًا ـ مفهوم الخطاب ودوره في عملية التواصل :

تكمن ضرورة الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلحٍ ما في الكشف عن بعض الأبعاد التي يتضمَّنها ذلك المصطلح، فالخطاب يعني لغةً " مراجعة الكلام .. ورجل خطيب؛ حسنُ الخُطبة .. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى "وفصل الخطاب" هو أن يحكم بالبيِّنة أو اليمين، وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده "[١]

ويُعرَّف الخطاب عند (ميشيل فوكو) بأنه " مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات التي تكوِّن بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين والتحويل"[٢]

أمَّا عند (إميل بينفيست) رائد النظرية اللسانية الحديثة فيقصَد به " كل تلفّظ يفترض متحدثاً وسامعاً تكون للطرف الأول نيّة التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال"[٣] وبهذا اقتضت طبيعة الخطاب وجود عناصر ثلاثة مُكوِّنة الخطاب: المُرسِل والمتلقي ومضمون الخطاب.

وكثيرًا ما ارتبط مفهوم الخطاب بالشعر السياسي عند الشعراء معظمهم؛ وذلك لأن ماهية الشعر السياسي تتحدَّد في كونها " طائفة من المعاني الجديدة استوحتها خواطر الشعراء من اختلاف الأحزاب في الرأي،

---

١ – ابن منظور: لسان العرب، مجلد ١ ، دار صادر بيروت، ط١، مادة (خطب)، ص ٣٦١.

٢– الزاوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩٤.

٣- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale 1966 P.241- 242.

ـ نقلا عن دراسة لـ د/ محمد الباردي : إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠٠م ، ص٩.

ومنازعة الزعماء في الخلافة، جاءت على النهج القديم في صورٍ مختلفة بين مدحٍ وهجاء، واقتراحٍ لسياسة، أو بيان لمذهب"[١] وهنا تتأكَّد علاقة الأدب بالممارسات الخطابية – خاصة السياسية – وِفقَ طبيعة ذلك الخطاب ومحدداته؛ حيث إن " التمثيل الشعري له يمتلك فاعلية بالغة لاتِّكائه على تاريخ عريق من الخبرة الجمالية وتفعيله لأقصى مستويات اللغة في التأثير، وكفاءته في تشكيل رؤية حاسمة للعالم كما تصوغه الكلمات في أوضاعها الدلالية"[٢] والخطاب بهذا المعنى يتضمَّن شعورًا انفعاليًا موازيًا للهدف الإخباري أو المعرفي المُتضمَّن، ويتحدَّد هنا في الذات المنهزمة متمثلة في شخصية (الكميت) وقد أشار (ياكبسون) إلى قوة العلاقة بين الجانبين: الانفعالي والمعرفي للخطاب بقوله: إن " الشعر يقترب من الخطاب الانفعالي أكثر مما يقترب من الخطاب المعرفي، فالعلاقة بين الصوت والمدلول أشد ترابطًا وحميمية في الخطاب الانفعالي منه في الخطاب المعرفي"[٣]

ويقتضي هذا ضرورة النظر إلى الخطاب الشعري عند (الكميت) من زاويتين: الأولى باعتباره خطابًا جماليًا تفاعليًا يتواصل فيه المتحاوران: المبدع والمتلقي، الثانية: على أنه خطاب كلِّي بالرَّغم من وجود أوجه تعارض في بعض القيم الإيديولوجية المتضمِّنة في بعض سياقاته، وتعليل ذلك التعارض أن "ما يتم التفكير فيه في إطار خطاب ما هو حصيلة ترتبط بما لم يتناوله التفكير في هذا الخطاب، ولكن جرى التفكير فيه في مكان آخر

١- عبد الحسيب طه حميدة: أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الزهراء، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٢١٢.

٢- د/ صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١.

٣- فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ت: الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من خطاب آخر"[١] وفهم مضمون الخطاب وخصوصيته في موضعٍ بعينه لا يتم بمعزلٍ عن سياق الخطابات الأخرى.

ويُمكن ملاحظة ذلك من خلال الرواية التالية التي أوردها "ابن عبد ربه" عن "الكميت" وهي رواية طويلة أكتفي بذكر بعضًا منها، كان الكميت " يمدح بني هاشم ويعرّض ببني أمية .. ولما خرج مسلمة بن عبد الملك يوما إلى بعض صيوده، أتى الناس يسلّمون عليه، وأتاه الكميت بن زيد فيمن أتى، فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

قف بالدّيار وقوف زائر ∴ وتأنّ إنّك غير صاغر

حتى انتهى إلى قوله:

يا مسلم بن الوليد ∴ ليتٍ إن شئت ناشر

علقت حبالي من حبا ∴ لك ذمة الجارا المجاور

فالآن صرت إلى أمية ∴ والأمور إلى المصاير

والآن كنت بهِ المصيب ∴ كمهتد بالأمس حائر(٢)

فقال مسلمة: سبحان الله! من هذا الهندكيّ الجلحاب ، الذي أقبل من أخريات الناس فبدأ بالسلام، ثم أما بعد، ثم الشعر؟ قيل له: هذا الكميت ابن زيد"(٣).

١- ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة د/عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١١٢.

٢- الكميت بن زيد الأسدي: ديوان الكميت، تحقيق: د/ محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٣٠.

٣- ابن عبد ربه : العقد الفريد، https://al-maktaba.org/book/23789/416 ،ج٢، ص ٥٦.

إن خطاب الكُميت في الأبيات السابقة يبدو خطابًـــا تفاعليًـــا ذا وقـــعٍ انهزامي، هدف صاحبه من خلاله إلى استعطاف المتلقي "مسلمة بن الوليـــد" والتودد إليه واستمالته ليصبح مُجيرًا له من عِقاب "هشام بن عبد الملـــك" ، وليكون وسيط خيرٍ بينه وبين "هشام " الذي كان يتوعَّده طيلة عشرين سنة، وتتولَّى لغة الخطاب حمل هذه الوظيفـــة التأثيريـــة لإقنـــاع المتلقـــي عبـــر المحاورة الثنائية بينه وبين "مسلمة"، فابتـــدأ الشـــاعر أبياتـــه بالأســـلوب الإنشائي عبر فعلي الأمر "قف" و"تأنَّ" في قوله: (قف بالدّيار وقوف زائـــر ... وتأنّ إنّك غير صاغر).

فالأمر هنا ليس علـــى وجـــه الاســـتعلاء؛ وإنمـــا لغـــرض الوصـــل والاستعطاف، فحينما يقف المرء زائرًا للديار فإن نيَّته حتمًا ستكون طيبـــة ولا يريد غدرًا، كما أن الفارق الدلالي بين فعل الأمر (قف) مُجرَّدًا عن سياقه الذي يوحي بمنزلة الآمر وهيمنته ويذكرنا بمجد الذات الشاعرة وتمرُّدها قبل انصياعها لحكم بني أمية، وبين دلالة الفعل مقترنة بالمفعول المطلق (وقوف زائر) التي تحمل معنى الرجاء والاستعطاف بعـــد ولاء الشـــاعر للأمـــويين ومناصرته لهم يكشف عن حجم الصراع الذي تعانيه الذات الشـــاعرة فـــي ميدان الصراع السياسي. فهي ذاتٌ منهزمة/منكوبة.

وتتراءى ملامح الانكسار جليَّةً عبر دلالة فعل الأمر (تأنَّ) فحينما يأمر الشاعر الآخر بالتأني ليشاهد مجد وعظمة بني أمية، فهو في المقابل يطلب من المتلقي (مسلمة) أن يتمهَّل في موقفه وألا يُعجِّل القبض عليـــه بســـبب موالاته لهم، ويطلب ذلك في أدبٍ، ويُلحق بعضًا من صفات العظمة عليـــه، فهو غير صاغر في موقفه إن تمهَّل، وكأنه يريد تذكيره بأن العفو يكون عند المقدرة، وإن كانت العبارة تحمل بُعدًا سيميائيًا سيأتي الحـــديث عنـــه فـــي موضعه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتطلُّ رؤية الشاعر الانهزامية جليَّة عبر المقارنة بين (الأنا= الذات الشاعرة) و(الآخر = مسلمة) فالبون شاسع بينهما، فالذات منكوبة بل ميتة باعتراف صاحبها في قوله "لميِّت إن شئت ناشر" بينما يتمتَّع الآخر بكلِّ التبجيل والتعظيم عبر أسلوب النداء "يا مَسْلَم بن أبي الوليد"، فالذات المنهزمة هنا تتجلَّى عبر الموقع الدنئ الذي تشغله، ولا يمكنها مواجهة الآخر المتسيِّد للموقف، ولا سبيل لاكتساب الآخر إلا بالإذعان والخضوع له، وتتجلَّى قدرة الشاعر الفنية في إقناع المتلقي (مسلمة) بحقِّه في الاستجارة مُعتمدًا على القياس المنطقي عبر حجة التمثيل باعتباره أحد الأساليب الحجاجية في الخطاب الشعري في قوله (علقت حبالي من حبالك .. ذمة الجار المجاور) فمثلما كان للجار حقه في الإجارة، وجبت إجارة مسلمة له، والتمثيل هنا كما قال الجرجاني " إن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[١]

ونستشعر هنا أزمة الذات الشاعرة التي تلاحقها أجواء المطاردة والتوعُّد بالقتل في كلِّ مكان، ومن هنا جاءت محاولات التشبث بالآخر عبر دلالة الفعل (علقت) الذي يوحي بالاستغاثة، وأن مصير الذات مرهون بعفو (مسلمة) عنه، ولا سبيل أمامها إلا الخضوع والولاء. ويتعالى صراع الشاعر المتأزم مع الواقع مصحوبًا بملامح الانهزام، معلنًا رغبته الصريحة في مناصرة الحزب الأموي وتغيّر صيرورته السياسية، وذلك في قوله: (فالآن صرت إلى أمية .. والأمور إلى المصاير)، وكان لهذا التحوُّل السياسي أثره في توجيه مفرداته اللغوية التي كشفت عن محنة الذات في واقعها الآني، وأن هذا الانصياع كان قسريًا، وأن الشاعر كان مُجبرًا على

١- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٨٨.

هذا التحوُّل وليس مُخيرًا، ويتولَّى الزمن دوره في الكشف عن حقيقة ذلـك التحوُّل السياسي، فلفظة (الآن) لا توحي بقوة الارتباط أو حتى مجرد الرغبة فيه، فهذا التحوُّل اقتصر على لحظة القول التي لا تُجسِّد إلَّا مشاعر الخـوف من التنكيل به، وعمد الشاعر إلى تكرارها ليؤكِّد علـى الشـعور النفسـي المتأزم عنده.

ثانياً - تمثلات الشخصية المنهزمة بين أصالة الهوية والرَّغبة المتحولة في شعره:

التمثلات والممائلة يعرِّفها (ابن منظور) لغة بقوله: " وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين.. فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنـه يسـد مسده، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة والمثل: الشبه يقال: مثل ومثل وشبه وشبه بمعنى واحد"[١]

وما هدفت إليه الباحثة من استدعاء هذا المصطلح استحضار شخصية الكميت وتمظهراتها المتنوعة من خلال خطابه الشعري عبر اللغـة، والتـي تكشف عن نمط تفكيره وميوله الدينية والعقائدية، ومدى احتكامها للتغيرات السياسية، فالشخصية كما عرَّفها (مورتون) "حاصل جمع كل الاسـتعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة .. والنظرة الحديثة للشخصية تعتبرها وحدة أو تنظيمًا كليًا عامًا، إذ إن الكـائن الحـي أكثر من مجرَّد مجموع صفاته، وكل صفة من صفاته لا يكون لها معنـى إلا في وجود باقي الصفات"[٢] ويمكن رصد حضور شخصية الكميت في خطابـه الشعري من خلال السمات المميزة لها عبر حقبتين زمنيتين:

١- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، ج ١٤، ، مادة (م. ث. ل)، ص ١٤.

٢ - كامل محمد محمد عويضة: التحليل النفسي، دار الكتب العلميـة، بيـروت، لبنـان، ط١، ١٩٩٦، ص: ٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحقبة الأولى: وتجلَّى من خلالها ولاؤه للهاشميين وفخره بهم، وعداؤه للأمويين، فقد عُرِف الكميت بانتمائه السياسي للشيعة الزيدية، وإمامهم "زيد بن علي" الذي دعا للثورة على حكم "هشام بن عبد الملك، ومن الروايات التي تدعم هذا الرأي" دخل الكميت بن زيد" على "أبي جعفر بن علي" عليهما السلام فقال له: يا كميت أنت القائل:

فالآن صرت الى أمية ∴ والامور الى مصائر؟

قال: نعم، قد قلت. و اللّه ما أردت إلَّا الدنيا و لقد عرفت فضلكم.

قال: أما إن قلت ذلك إن التقية لتحلُّ"[١]

فقد توارى الكميت خلف مبدأ التقيَّة عبر هذا الوجه الخطابي؛ ليتحاشى أذى الأمويين، فهو يقصد بمصائر الأمم (بني هاشم)، وإظهار ما هو خلاف القول أو الفعل مُباحٌ عند الشيعة وفق هذا المبدأ. فلم يكن "الكميت" صادقًا في زعمه هذا، وهذا ما يؤكده قول (الأصفهاني) " لم يجمع من قصيدته تلك يومئذٍ إلّا ما حفظه الناس منها فألف، وسئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئًا؛ إنما هو كلام ارتجلته"[٢] وكأنه يُقرُّ بعدم صدق مشاعره تجاه بني أميَّة؛ وإنما لمصلحةٍ ذاتية وصيانة النفس من الهلاك..

أمَّا عن شعره في بني هاشم فقد " كان "الكميت" من أشهر شعراء الزيدية، ومن أكثر المؤيدين لحقِّ آل البيت في الخلافة، قال عنه صاحب كتاب (المؤتلف والمختلف) " وله في أهل البيت الأشعار المشهورة، وهي

---

١ – أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق :عبد علي مهنا–سمير جابر، دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٢، ص ١٦/٣٥٤.

٢ – أبو الفرج الأصفهان: الأغاني، مرجع سابق، ج١٦، ص ٣٣٣.

أجود شعره"[١] وممَّا ورد في هاشمياته من ودٍ وإخلاصٍ لهم بيتاه التاليـــان، يقول فيهما:

فمـــــالي إلا آل أحمـــــد شـــــيعةٌ ∴ ومـــــالي إلا مشـــعب الحـــق مشـــعب

ومـــن غيرهـــم أرضـــى لنفســـي ∴ شيعة ومن بعدهم لا من أجل وأرجب[٢]

تتجلَّى براعة الاستهلال والختام عند الشاعر في البيتين للتأكيد علـــى الوفاء والحفاظ على عهده للهاشميين، وذلك عبر أسلوبي القصر في قولـــه "ومالي إلا آل أحمد شيعة، ومالي إلا مشعب الحق مشعب" وكـــذلك أســـلوبي الاستفهام في قوله "ومن غيرهم، ومن بعدهم" فقد اعتمـــد الشـــاعر علـــى المنطق الحجاجي عبر هذه الأساليب للتأكيد على ضرورة الالتزام السياســـي والديني لهم. فالذات الشاعرة هنا متماهية تمامًا فـــي الآخـــر (الهاشـــميين) منسجمة مع نبرات الخطاب الإيقاعية المصاحبة للتكرار وما أنتجه القافيـــة من طربٍ نغمي عذب، إضافةً إلى القيمة التأكيدية لتكرار مفردتي "فمـــالي.. ومالي"، التي توحي بصدق الولاء الديني والسياسي لهم. واذا تتبعَّنا أبياتـــه التالية نجدها تَترجم مزيدًا من إخلاصه السياسي للهاشميين، يقول فيها:

وجـــدنا لكـــم في آل حـــاميم آيـــة ∴ تـأمَّلـــها مِنَّـــا تقـــيٌّ ومُغـــرِب

أحلامكـــم لِســـقام الجهـــل شـــافيةٌ ∴ كمـــا دمـــاؤكم يُشـــفى بهـــا الكَلَـــب*[٣]

١- المؤتلف والمختلف، ص ٣٥٧.

٢- محمد محمود الرافعي: شرح الهاشميات، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، ط٢، ص ٣٩.

* "الكَلَب داء يقع في الإبل، ويقال للرجل إذا عضّه الكلْبُ الكَلِبُ وقد كُلِبَ الرجـــلُ. ويقـــال: إن الرجل الكَلِبَ إذا عض إنساناً آخر يأتون رجلاً شريفاً، فيقطر لهم من دم أصـــبعه، فيســـقون ذلك الكَلِب فيبرأ". لمعرفة المزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٧٢٣.

٣ - ديوان الكميت، مصدر سابق، ، ص ١٨- ١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نلحظ في البيتين السابقين نزوعًا روحيًا لآل البيت يشهد على عمق الانتماء السياسي والديني لهم، وقد اعتمد "الكميت" في خطابه على استدلالاتٍ منطقية ناور بها عقل المتلقي، وبرهن من خلالها على حبِّه للهاشميين عبر حُجَّة التقسيم، وهي تلك الحجة "التي نستخلص فيها نتيجة متعلِّقة بالكل بعد أن نستدلَّ على كلِّ جزء من أجزائه .. وحجة التقسيم لا تصلح حجة فحسب، بل تكون كذلك وسيلة لخلق الحضور بواسطة تعداد الأجزاء"[١] وإلى جانب تلك الحجة تأتي حجة التمثيل في البيت الثاني، فمثلما كانت دماء بني هاشم يُستشفَى بها الإنسان الكَلِب، كذلك أحلامهم تشفي من الجهل، وهنا يكون الخطاب المدحي " أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم للعطف ، وأجلب للفرح .. وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر."[٢]

وجاء الصراع على الخلافة سببًا رئيسا في إشعال نار الخصومة والعداء بين الهاشميين وبني أمية، وبالطبع كان "الكميت" شاعر الهاشميين أشدّ المعارضين لهم، وهذا ما يتراءى واضحًا في الأبيات التالية:

لدى الرحمن يشفع بالمثاني ∴ فكان له أبو حسن شفيعا
وأصفاه النبي على اختيارٍ ∴ بما أعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوحِ دوحِ غدير خُمٍ ∴ أبان له الولايةَ لو أطيعا
ولكن الرجالَ تبايعوها ∴ فلم أرَ مثلها خطراً منيعا(٣)

١- د/ الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٦٨ – ٦٩.

٢- أسرار البلاغة ، للجرجاني ، ص ٨٨ .

٣- د/ محمد نبيل طريفي: شرح هاشميات الكميت، بتفسير أبي رياش: أحمد بن إبراهيم القيسي، دار صادر للطباعة، ط١، ٢٠٠م.

يلاحظ أن ولاء الشاعر لآل بيت النبي وتأييد حقِّهم في الخلافة انطلـق من مبدأٍ عقائدي راسخ أسهم في تحفيز الذات ونزوعهـا لاسـتنفار عـداء الأمويين، وركَّز "الكميت" في خطابه السياسي على ركائز دينية دعَّمت مـن منطقه الحجاجي بُغية إقناع المتلقي بصدق حديثه، واعتمـد " علـى حجـة الخلاف لِيثبت صدق دعواه وإبطال نقيضها، فبالرغم مـن وجـود الـنص الصريح (القرآن الكريم) الذي يُعدُّ سلطة في حدِّ ذاته في إثبـات أحقيـة آل البيت في الخلافة إلا أن الرجال خالفوا ذلك، ويستمر "الكميت" فـي دعـواه معتمدًا على حججه المنطقية، ومنها حُجَّـة السـلطة فـي البيـت الثالـث فالاصطفاء ليس صادرًا إلَّا " عن متكلم حجّه يُعوَّل عليه ويلوذ به، لكونـه شخص يضمن صحته"[١] فالنبي – صلَّى الله عليه وسلم- يُعدُّ سلطة نافـذة، وقد أوصى لعليٍ بالولاية يوم الغدير واصطفاه أمام جموع الناس، لكنَّ بنـي أميَّة انتزعوا هذا الحق منهم "وقد كانت لهذه القصائد في نصرة أهل البيـت وتأليب الناس على بني مروان أثرها في النفوس، حتى لهج بهـا الخاصـة والعامة، وصار الناس يتقربون إلى الله والرسول بحفظها وتلاوتها"[٢]

وأكثر عشق "الكميت" وولائه لآل بيت النبي نجده في هاشمياته التـي تُعدُّ إحدى غُرره المدحية فيهم، ولم يبغِ من إنشاده إياها سِـوى رضـا الله ورسوله، يقول الكميت:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ∴ ولاَ لَعِبَـاً أذُو الشَّـيبِ يَلعَـبُ

١- الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة: عبد القادر المهيري، مراجعة عبـد الله صـولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨، ص ١٥٣.

٢ – عبد المتعال الصعيدي: الكميت شاعر العصر المرواني، مجلة الرسالة، عدد ٢٢٩، موقـع إليكتروني، https://ar.wikisource.org//

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولم يُلـــهِني دارٌ ولا رَســـمُ مَنـــزِلٍ ∴ ولم يَتَطَرَّبنِـــي بَنضـــانٌ مُخَضَّـــبُ

وَلاَ أنَـــا ممَّـــن يَزجـــرُ الطَّـــيرُ هَمُّـــهُ ∴ أصَـــاحَ غُـــرَابٌ أم تَـــعَرَّضَ ثَـــعلَـــبُ

ولا السَّـــانِحَاتُ* البَارِحَـــاتُ عَشِـــيَّةً ∴ أمَـــرَّ سَـــلِيمُ القَـــرنِ أم مَـــرَّ أعضَـــبُ

وَلكِـــن إلى أهـــلِ الفَضَـــائِلِ والنُّهَـــى ∴ وَخَـــيرِ بَنِـــي حَـــوَّاءَ والخَـــيرُ يُطلَـــبُ

بَنِـــي هَاشِـــمٍ رَهـــطِ النَّبِـــيِّ فـــإنَّنِي ∴ بِهِـــم ولَهُـــم أَرضَـــى مِـــرَاراً وأغضَـــبُ(١)

حملت الصورة الفية التي رسمها "الكميت" لآل البيت في خطابه الشعري دورها في الكشف عن ولائه لهم، وقد خالف نهج الشعراء ولم يبتدئ قصيدته بالوقوف على الطلل كما هو متعارف عليه، وفي ذلك ملمحٌ سيميائي يمكن توجيهه أن إعراض الشاعر عن وقوفه على الأطلال يعادل رفضه للواقع السياسي والاجتماعي المحيط، وفيه إشارة خفية إلى الواقع المتردي في ظلّ حُكم الأمويين بعدما انتشر اللهو والعبث بين سادة القوم منهم، وهذا ما نستشعره في قوله: " أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ" ، وعدم زجره للطير وطردها من أوكارها ما هو إلا دليل على الشعور بالأمان في كنف بني هاشم، فهو لا يُبالي من التطيّر والتشاؤم من يزجرها ولا من السانحات مثلما كانت تفعل العرب قديمًا، وهكذا كان حبُّه وطربه خالصًا للهاشميين عبر هذا الدفق الشعوري الخلّاب، فقد جاء مدحه لآل البيت في هاشمياته إرضاءً

* السنيح الذي يأتي من قِبل شمالك ذاهبًا نحو يمينك، والبارح بخلافه، فمن يتيمن بالسارح يتيمن به لأنه ولاه ميامنه، ومن تشاءم به فلأنه جاء من يساره. لمعرفة المزيد، انظر: أبي العباس محمد بن يزيد المُبرّد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ص ٣٦٨.

١ – محمد محمود الرافعي: شرح الهاشميات، مصدر سابق، ص ٣٦.

لله دون مقابلٍ مادي، فحينما وفد عليه "عبد الله بن الحُسين" في المدينة وأنشدها هاشمياته، عرض عليه "عبد الله" ضيعة يهبها له فرفض "الكميت" وقال: "بأبي أنت وأمي، كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال، ولا والله ما قلت فيكم شيئًا إلا لله، وما كنت لآخذ في شئ جعلته لله ثمنًا"(١)

وقد استحقَّ "الكميت" عن جدارة صدارة الشهرة بين الشعراء الهاشميين بسبب هاشمياته تلك؛ لأنها ألَّبت المشاعر ضد الأمويين، وكانت باعثًا قويًا للاصطدام معهم، وهذا الإحساس ما نراه جليًا في أبياته التالية:

ألم تَرَنِي من حُبِّ آلِ محمدٍ ∴ أروحُ وأَغدُوا خَائِفاً أتَرقّبُ

كأنّي جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما ∴ بِهِم يُتّقَى من خَشيَةِ العُرّ أجرَبُ

عَلَى أيّ جُرمٍ أم بأيَّةِ سِيرَةٍ ∴ أُعَنَّفُ في تَقرِيظِهِم وَأُؤَنَّبُ(٢)

حملت الأبيات السابقة لقطة مركزة مفعمة بالصراع، نقلتها الذات الشاعرة من واقعها المعيش بسبب الشعور بالتهديد والخوف الذي يترصدها من قِبَل الأمويين؛ بسبب ولائها لبني هاشم، وتجلّىَ هذا الشعور الانهزامي واضحًا في مفردات الخطاب اللغوية عبر الصورة الحركية المُستحثَّة من لفظتي "أروح، وأغدو خائفًا" والتي تشعرنا بالترصّد المستمر للشاعر، كما تتبدَّى المفارقة التصويرية بين شطري البيت الأول عبر ثنائية (الأمن والخوف)، فالأنا الشاعرة ذاتٌ معتزة بحبها لآل محمدٍ آمنة في كنفهم؛ بينما

١ – أبي الحسن بن علي المسعودي: "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٧٨.

٢ – محمد محمود الرافعي: شرح الهاشميات، مصدر سابق، ص ٤٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جاء الشطر الثاني مُفعمًا بملامح القهر والانهزام، وهذا ما يؤكِّد عليه إحساس الشاعر بالدونية والاستحقار في البيت الثاني عبر المفردات التي تحمل دلالة الانكسار في قوله "كأني جانٍ (مرتكب جريمة)، أو محدثٌ (ذنب لم يسبقه أحد لمثلي)، (أتقي من خشية العار أجرب) وكلُّها مفردات توحي بإذلال النفس وقهرها. وكان لشعور "الكميت" بالانهزام أثره على شخصيته، وبالنظر في شخصية "الكميت" يُلاحظ أن هناك بواعث واضحة وقفت خلف تشكيل شخصيته، أو أن هناك إيديولوجية محددة أسهمت في رسم ملامح تلك الشخصية، وهذه الإيديولوجية كثيرًا ما " تستوقف الأفراد خلال آلية التعرُّف وتخلع عليهم هويتهم؛ فالإيديولوجيا توجَّه إلى الأفراد لكي يصبحوا – عندما يجيبيون، ويلتفتون، ويستديرون – خاضعين في حرية لها"[١]

وأمام صراع الذات في مواجهة السلطة، كان لابد لها من مجاراة الآخر وحدوث تحولات كبيرة في أقوال الشخصية وأفعالها، فبالرّغم من ولاء الكميت لـ "زيد بن علي" إلَّا أنه تقاعس عن نصرته وتخلَّى عمَّا كان يدعو إليه، وحينما قامت ثورة "زيد" يدعوه قائلًا: " أخرج معنا يا "أعيمش" الست القائل:

ما أبالي اذا حفظت أبا القا ∴ سم فيكم ملامة اللوّام

فكتب اليه "الكميت":

تجود لكم نفسي بما دون وثبة ∴ تظل لها الغربان دوني تحجل[٢]

١- ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، مرجع سابق، ص ١٠٤.

٢- داود سلوم: شعر الكميت بن زيد الأسدي، ج١، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م ، ص ٣٤٨.

وخذل "الكميت" زيدًا" ولم يجد لديه شجاعة على اللحاق به فـــي هـــذه الثورة وقُتِل "زيدٌ" وندم الكميت ندمًا شديدًا على مقتله، وراح يتحسَّر علـــى ذلك بقوله:

دعـــاني ابـــن الرســـول فلـــم أجبـــه ∴ ألهفـــى لهـــف للقلـــب الفـــروق

حـــذار منيـــة لا بـــد منهـــا ∴ وهـــل دون المنيّـــة مـــن طريـــق(١)

تبدو ملامح الانهزام الفكري والسياسي واضحة عبر الوجع والصـــراع النفسي المُطبق في البيتين السابقين؛ لأن الذات الشاعرة في هذا الموقف لم يحكمها توجه أخلاقي حاسم، بعدما فقدت اعتزازها بنفسها وفخرها بحبهـــا للهاشميين تحت وطأة الحُكم الأموي، والخوف من التنكيل بـــه، ولا يُمكـــن وصف هذا السلوك بأنه نفعيٌ بقدر ما هـــو انهزامـــي، والشـــعور بالنـــدم، والحسرة، والبكاء، والتوجّع ما هو إلَّا مظهر من مظاهر هذا الانهزام، وهذا ما يتجلَّى واضحًا في مفردات الخطاب مثل قوله "ألهفي" التي توحي بالنـــدب والأسى، وقوله "للقلب الفروق" التي توحي بالخوف والجزع، إضـــافةً إلـــى بلاغة الاستفهام في قوله " وهل دون المنيّـــة مـــن طريـــق؟" التـــي تؤكِّـــد الاعتراف بالذنب، فقد فقدت الذات سيطرتها علـــى كتمـــان تلـــك المشـــاعر الانهزامية، ولم تجد أمامها إلَّا الاعتراف بتقصيرها وتقاعسها عـــن نصـــرة "زيد بن علي". ومثلما كان الشعور بالهلع والخوف من تنكيـــل بنـــي أميـــة بالكميت دافعًا للقلق والتوجس؛ جاءت حِيَل المكر والدهاء والمراوغة لديـــه سبيلًا للمواجهة غير المباشرة أمام عداء الأمويين، وهذا ما نتلمَّســـه فـــي الرواية التالية:

---

١ – داود سلوم: مصدر سابق، ص ٢٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"كان "خالد بن عبد الله" حبس "الكميت" الشاعر فزارته امرأته في السجن، فلبس ثيابها وخرج، ولم يُعرَف، فقال:

ولما احلوني بصلعاء صيلم ∴ بإحدى زُبى ذي اللبدتين أبي الشبل

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ∴ على الرغم من تلك النوابح والمشلي

على ثياب الغانيات وتحتها ∴ عزيمة أمر أشبهت سلَّة النصل(١)

يبدو من الأبيات السابقة أن شخصية الكميت حملت بعضًا من سِمات الشخصية الزئبقية* لمواجهة موقفها الانهزامي باعتبارها " نوعًا من المواجهة غير المباشرة أو مرحلة من الكمون الإيجابي الذي يشحن الطاقات، ويترقَّب التفاعلات، ويتحيَّن الفرص حتى لا تخوض معركة تبدو خسارتها في الأفق حتمية؛ خاصة وأن توقعاتها المستقبلية متشائمة؛ لأنها تتوقَّع الشر دائمًا"(٢)

فالشاعر أراد أن يُضفي على شخصيته بعضًا من صفات الفروسية مثلما كان يفعل شعراء الصعاليك؛ لمواجهة شعوره الانهزامي، فوصف نفسه بالأسد المُحاصَر في صحراء موحشة، ووصف نجاحه في الهروب من باب السجن بـ "قدح بن مُقبل" نسبةً إل "تميم بن مقبل" الذي أجاد في وصف القدح فصار يُسمَّى باسمه، وهذا المثل يُضرَب عند استحسان الشئ والفوز به.

١- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية -بيروت، ج١، ص ٨١. وديوان الكميت، ص ٣٤٨.

* الزئبقية نسبة إلى بطل السيرة الشعبية "علي الزيبق"، وكان له قدرة فائقة على الدهاء والمراوغة والحيلة والخداع.

٢ - د/نبيل راغب: الشخصية الزئبقية جذورها وخفاياها، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٧.

الحَقبة الثانية: وظهرت فيها مدارات الانهزام والتخويف والمطاردة جليةً من قِبَل الأمويين، وتلوَّن شعره في هذه الحقبة بلون الهزائم السياسية التي تعرَّض لها الهاشميون، ووجدنا تحولًا سياسيًا في شخصية الكميت بسبب وازع الخوف الذي يُعدُّ ملمحًا رئيسًا للانهزام. فلم تُصبح علاقة الشاعر ببني أمية علاقة جفاء وعداء بل انهزام وولاء، وأكثر ما يتجلَّى هذا الشعور في مدحه لـ (خالد بن عبد الله القسري) والي العراق من قِبَل (هشام بن عبد الملك):

لو قيل للجود من حليفك ما ∴ إن كان إلا إليك ينتسبُ

أنت أخوه وأنت صورته ∴ والرأس منه وغيرك الذنبُ

احرزتَ فضل النضال في مَهَل ∴ فكل يوم بكفك القَصَبُ

لو أن كعباً وحاتماً نُشرا ∴ فكل يوم بكفك القَصَبُ

لا تخلف الوعد إن وعدت ولا ∴ خلفك للراغبين منقلبُ(١)

يُلاحظ من الأبيات السابقة أن اتجاهات الكميت السياسية قد سارت في منعطفٍ مغاير بل متناقضٍ عن سابقه، اتَّسم بالمهادنة والطاعة والولاء لبني أميَّة، ويمكن تعليل ذلك وفق مبدأ (التقية) الذي انتهجه الشيعة أن "الكميت" كان يخشى عل نفسه من عقاب الأمويين له، إضافةً لذك أن خالدًا كان الوالي الأقرب من غيره للعراق عند الشيعة، وكافأه بمائة ألف درهم. وعاد "الكميت" معاوية بن هشام بقبره فقال:

مُعاوي إن تلقَ الذي كنت لاقيا ∴ وتمسِ بك الدنيا مضت فتولَّت

١ – الديوان، ص ٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فـــأي فتـــى لاقـــت شـــعوبٌ ومِـــدره ∴ وأي كـــــريم في قلبـــــك ذلَّـــــت

ســـأبكيك للـــدنيا وللـــدِّين إنـــني ∴ رأيـــت يـــدَ المعـــروف بعـــدك شُـــلَّتِ

فـــدامتْ عليـــك بالســـلام تحيـــةً ∴ ملائكـــةُ الله الكـــرام وَصـــلَّتِ(١)

تعكس الأبيات السابقة شعور المهادنة من قِبَـل "الكميـت" ورّغبتـه الشديدة في استعطاف "هشام بن عبد الملك" ليعفو عنه، وكان "الكميت" قـد استسمحه في أن يُنشده أبياته السابقة يُرثي فيها ابنه "معاوية بن هشـام"؛ فبكى "هشام" ورجع "الكميت" إلى بيته آمنًا، وأمر له هشام بـأربعين ألـف درهم، ويُلاحَظ هنا أن ولاء الشاعر السياسي للأمويين ورثائـه لهـم لـم يخضع لتوجه أخلاقي يوجهه، ولم يكن طمعًا في ثواب ينتظره بل تكيّفًا مـع الموقف الذي يواجهه، وتجنبًا للمواجهة، وحِفاظًا علـى الحيـاة. وتسـتمر أهداف الشاعر النفعية باعثًا لشعور الانهزام عند الشاعر في أبياته التالية:

أبـــــني أميـــــة إنكـــــم ∴ أهـــل الوســـائل والأوامـــر

ثقـــتي لكـــل ملمـــة ∴ وعشـــيرتي دون العشـــائر

الطيـــب وتـــرب المغـــار ∴ س والمنابـــت والمكاســـر

والســـاحبون اللاحفـــو ∴ ن الأرض هُـــدَّاب المـــآزر

أنـــتم معـــادن للخـــلا ∴ فـــة كـــابراً مـــن بعـــد كـــابر

بالتســـعة المتتـــابعين ∴ خلائفـــاً وبخـــير عاشـــر(٢)

---

١ – ديوان الكميت، مصدر سابق، ص ١٠٥.

٢ – ديوان الكميت، مصدر سابق، ص ١٣١.

يبدو خطاب الشاعر المدحي في الأبيات السابقة منطلقًـــا نحـــو غايـــة نفعية تسعى من خلالها الذات لتحقيق أهدافها الذاتية متغاضيةً عن ولائهـــا للهاشميين، وكأن الكميت اتَّخذ من الشعر مكسبةً، وربمـــا يتســـرَّع قـــارئ الأبيات في إصدار حُكما مُتعجلًا على شعره أنه يدخل في باب النفاق والرياء السياسي، وهنا تأتي حتمية استدعاء السيرورة النفسية لشخصـــية الكميـــت لفهم الوظيفة التواصلية للخطاب الشعري، ومن خلالها يتعرَّف القارئ علـــى ما وراء النص وأوجه الخطاب المتباينة في شعره؛ حيث إن: (لكل عمل أدبي قطبان: القطب الفني والقطب الجمالي، يُمثِّل الأول نصف المؤلف والثاني هو التحقيق الذي ينجزه القارئ، وفي ضوء هذا التقاطب يتضح أن العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقا لا للنص ولا لتحقيقه بل لابد أن يكون واقعًا في مكان ما بينهما. يجب حتمًا أن يكون العمل الأدبي فاعلًا في طبيعته ما دام لا يمكن اختزاله لا إلى واقع النص ولا إلى ذاتية القارئ)[١]

فبعدما صار شعور (الكميت) بالخوف من تنكيل بني أميـــة بـــه هـــو الهاجس الأكثر إزعاجًا له، انزوت الذات الشاعرة وأصبح حضورها باهتًـــا، وأصبح الآخر هو صاحب الهيمنة والعفو، فلم يكن هناك خيار أمامهـــا إلَّـــا الخضوع والانقياد؛ وجاء الإطراء والغلواء في المدح عبـــر دلالات بعـــض الألفاظ في قوله (أهل الوسائل والأوامر، الساحبون اللاحقون، هدَّاب المآزر، أنتم معادن للخلافة) ليحمل إشاراتٍ ســـيميائية مُغـــايرة لِمـــا هـــو مُعلَـــن، يستشعرها القارئ بسهولة، فـــ "التعظيم المزيَّف المنحرف عن أصله تتمادى فيه الشخصية الممدوحة تماديًا مغاليًا فيه .. ولهذا يحمـــل هـــذا التصـــعيد

١ – انظر فولفجانج آيزر: فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)ترجمة: د/ حميد لحمداني، د/ الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، الدار البيضاء فاس ، ١٩٩٥م، ص ١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الملحمي الزائف من إيحاءات السّخرية أكثر ممَّا يحمل من مظاهر الثناء والتمجيد، ويتحوَّل ما كان آية من آيات العظمة إلى قرينة توحي بالنقيض من جهة وتكشف عن عمق الفجوة بين أصل الشخصية، والشخصية المدّعاة من جهة أخرى"[١] فالذات الشاعرة تحاول جاهدةً أن ترفع من قدرها عبر هجائها المضمر للآخر في سياق خطاب المدح لمواجهة حالة الانكسار التي تعيشها.

ثالثًا – الملامح الفنيَّة المُشكِّلة لخطاب الانهزام في شعر الكميت.

غدا الخطاب الشعري عند (الكميت) وعاءً فنيًا جسَّد من خلاله مشاعره النفسية بما حملته من معاناة وشكوى وانهزام، ويمكن وصف هذا الخطاب بأنه "نص مثقلٌ بالرموز، متعدد الأبعاد ينهض بفعل الإيحاء، وطاقات اللغة التعبيرية، وقدرتها على إنتاج المدلولات...، وهو فعل ينزع إلى البقاء في ذاكرتنا بما يثيره من انفعالات على خلاف الكلام العادي الذي يذهب إلى التلاشي بمجرد تحقق الإبلاغ"[٢] وكان للتوجه السياسي أثره في لجوء الشاعر لتوظيف بعض العناصر الرمزية مثل عنصر (الطلل، الحيوان، الشيب) التي اتخذها الشاعر قناعًا كشف من خلاله عن بعض قضاياه السياسية وهمومه النفسية، وأثَّر هذا بدوره في توجيه أدوات الشاعر اللغوية وسِماته الأسلوبية الكاشفة عن ملامح الانهزام، ويمكن التعرُّف على تلك الخصائص من خلال النقاط الثلاث التالية:

١- د/محمد فتوح: شعر المتنبي (قراءة أخرى)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٠.

٢- ضا بن حميد: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي الى التشكل البصري، مجلة فصول ، الشعر العربي المعاصر ، الجزء الأول ، المجلد ١٥ العدد الثاني صيف ١٩٩٦ ، ص ٩٦.

(أ) رمز الطلل الانهزامي:

يعني الطلل اصطلاحًا " الرموز في ذهن الشاعر، والطلل هو النبع الذي لا يغور ذكراه من بال الشاعر ولا يجف، وهو الرمز الحقيقي الـــذي يلهـــم الشاعر ويؤثِّر في نظمه، ويبعث في نفسه شتى ألوان الأحاســـيس"[١] وقـــد يتَّخذ الشاعر من المقدمة الطللية في الخطاب الشعري قِناعًا يبثُّ من خلالـــه مشاعره الدفينة ولواعج نفسه المكبوتة لعله يجد لنفسه مُتنفسًا في مواجهة محنة الذات المنهزمة، وعلى ضوء هذا التصور تتبدَّى المقاربة السيموطيقية لرمزية الطلل عند الكميت بما يحمله من شعورٍ بالألم والانهزام، ومن هـــذه الوجهة يُمكن النظر إلى النص الطللي عند (الكميت) على اعتبار أنه "تشـــكّل لغوي ينمّ عن غير ما يقول ويبطن أكثر ممَّا يظهر"[٢]

ويُمكن تلمس بنية الصراع النفسي عند الكميت من خلال رمزية الطلل عبر المقطوعتين التاليتين، الأولى في إطار انتمائه السياسي بـــل الروحـــي لبني هاشم وعهده بالوفاء لهم، والثانية في إطـــار الخضـــوع لبنـــي أميـــة وموالاته لهم، وفي كلتا المقطوعتين نستشعر انفعال الذات وانهزامها عبـــر سيميائية الطلل، يقول في المقطوعة الأولى:

وقفـت علـى أطلالهـا وتكـاثرت ∴ علـيّ همـومي فهـي تشـبه عـذالي

ديـار اللـواتي عنـا سـرن فيهـا عشية ∴ وغـادرن قلـبي بـين حـزن وبلبـال

---

١ – محمد الصادق حسن عبد الله، خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ١٩٠.

٢ – انظر: عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨م، ص ٦٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وما ارتحلت عنا الركائب وحدها ∴ ولكن روحي للركائب تال

ولو أنصفت داست بأخفافها التي ∴ تدوس بها الأحجار لحمي وأوصالي

وكنت أجر الذيل ما بين أهلها ∴ خليع عذار ناعم العيش والبال(١)

استعان الشاعر في الأبيات السابقة بالبعد الرمزي للطلل عبر رؤية عميقة تحمل بُعدًا تأويليًا عكس من خلاله حالته النفسية المأزومة بسبب الشعور بالحزن والكآبة والانهزام العاطفي والروحي إلى جانب الانهزام السياسي، وذلك بعد المحنة السياسية التي تعرَّض لها الهاشميون في خضمّ الصراع مع بني أمية، ويأتي اللجوء إلى الوقوف على الطلل رغبة في البحث عن الذات المفتقدة والحنين إلى العودة إليها، فقد امتزجت الشفرة المكانية التي حملتها أطلال الديار بملامح الانكسار عبر سيميائية (الغياب والحضور) حيث جاء الطلل هنا معادلًا موضوعيا للغياب والانهزام السياسي لبني هاشم، ووقوف الشاعر على هذه الأطلال ما هو إلَّا تعزية لنفسه الكسيرة، ليس فقط لغياب الأحبة (بني هاشم)؛ وإنما بتذكر صورة العُزَّال الحاضرة متمثلة في (بني أمية) التي تلوح أمام عينيه مُهددة ومتوعِّدة، وتحمل الشفرات اللغوية في البيت الثاني دلالات سيميائية عديدة لتغدو الأطلال من خلالها رمزًا للوفاء والإخلاص والحفاظ على العهد مع الهاشميين، فإذا كان الأحبة ارتحلوا عنها، فلا تزال الروح تتلمَّس خطاهم أينما حلّوا، ويستوقفنا الشاعر أمام عبق الماضي في مقابل انهزام الحاضر في البيت الأخير في رحاب تلك الديار حيث الحرية ونعيم العيش وراحة البال التي تمتَّع بها في تلك الديار، وفي ذلك إشارة خفية إلى خُلق وعفو

---

١ – ديوان الكميت، مصدر سابق، ص ٣٧٦.

الهاشميين، وما لمس الناس في رحابهم من سماحة وحرية، وعلى عكس ما لاحظنا من رمزية الطلل في المقطوعة السابقة، حمل الطلل دلالاتٍ سيميائية مغايرة في مقدمته الطللية التالية لرائيته في مدح بني أمية و(هشام بن عبد الملك)، فيقول:

قف بالدّيار وقوف زائر ∴ وتأنّ إنّك غير صاغر

ماذا عليك من الوقوف ∴ بهامد الطللين داثر

درجت عليك الغاديات ∴ الرائحات من الأعاصر(١)

تتجلَّى قيمة الطلل في الأبيات السابقة في دورها الإيصالي الذي يُحدِّد علاقة الذات الشاعرة بالآخر (بني أمية) وتمثِّل المقدمة الطللية في إطار هذه العلاقة علامةً كبرى تنطوي خلفها مقاربات عديدة، فالقرائن اللفظية المباشرة في الأبيات تُشير إلى انهزام الذات وتسليمها بعظمة ملك بني أمية والوقوف أمام حضارتها، وانطلاقًا من ذلك القول الذي يذهب إلى "أن البكاء في اللوحة الطللية تقليد أدبي استقاه الشعراء من نصوص مجهولة موضوعها البكاء على الحضارات التي انهارت في حقب سابقة للقصيدة التي وصلت إلينا"(٢) يُمكن النظر للطلل وفق البنية العميقة للنص على أنه قناعٌ توارى خلفه الشاعر لتقويض سلطة الآخر/المركز (الأمويين) والتنبؤ بسقوط دولتهم ونهايتهم المأسوية. فالبنية العميقة للوحة الطللية تبدو مغايرة لدلالتها اللفظية التي سبق الإشارة إليها؛ لكنَّ الشعور المصاحب ثابتٌ في

١ – ديوان الكميت، سابق، ص ١٣٠.

٢ – د/عادل جاسم البياتي: دراسات في الأدب الجاهلي، منطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية، ط١، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص ٦٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الدلالتين كلتيهما، وهو شعور الانهزام المهيمن على الذات، وجاء الطلل صورة محاكية لها. ومما يدعم هذه الرؤية أن استدعاء الطلل في أبيات الكميت السابقة جاء لضرورة فنية جسّد من خلالها شعوره بالانهزام، فقد عُرِف في قصائده بالعزوف عن الوقوف على الأطلال باستثناء قصائده في الأمويين، وأعلن " أنه لا يرتبط بالمرابع والمعاهد، وأنه لا صلة بينه وبين صاحباتها، كما يأخذ على غيره التعلّق بها ووصفها والبكاء فيها ومساءلتها عن إهلها"[١] فقد شغله حبّ الهاشميين عن شغفه بالديار على عكس ما ورد في شعره عن الأمويين الذي افتتح مدائحه فيهم بالوقوف عليها كحيلة تعبيرية تحمل إيماءات سيميائية. ومنها روح المعارضة والثورة التي تتبدَّى عبر الاستفهام الاستنكاري في البيت الثاني في قوله: (ماذا عليك من الوقوف ... بهامد الطللين داثر) وفيه إشارة لسقوط بني أمية وبالتالي أصبح ملكهم غائبًا في مقابل التنافر الدلالي في البيت الأول الذي نستشعر من خلاله تيمة الحضور والهيمنة للآخر (بني أمية)، ثم تأتي دلالتا الرياح والغاديات السيميائيتين في البيت الثالث كخلاص للذات من محنة الانكسار، فالرياح السريعة والمطر المنبعث بسبب السحب الغادية ماهي إلا دلالات لاقتراب الفرج والخلاص من الحكم الأموي.

(ب) قناع الذئب وملامح الانهزام المصاحبة:

قد يأتي توظيف الشاعر لبعض مفردات الطبيعة وسيلةً فنية يكشف من خلالها بعض الأغراض والدلالات السياسية والاجتماعية، أو أن الحديث عنها يعكس مشاعر الذات الشاعرة وموقفها من الواقع المحيط تلميحًا لا تصريحًا،

---

١ – د/ حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٣.

فقد اتَّخذ الكميت من وصف الذوات غير العاقلة قناعًا توارى خلفه ليكشـف عن صراعه الداخلي، فقال يصف ذئبًا لقيه:

لقينـــا بهـــا ثلبـــاً ضـــريراً كأنـــه ∴ إلى كـل مـن لاقـي مـن النـاس مـذنبُ

مضـيعاً إذا أثـرى كسـوباً إذا عـدا ∴ لســـاعته مـــا يســـتفيد ويكســـبُ

تضـوريشـكو مـا بـه مـن خصاصـة ∴ وكـاد مـن الإفصـاح بالشـكو يعـربُ

فنشـنا لـه مـن ذي المـزاود حصـة ∴ وللـــزاد آســـار تلقـــى وتوهـــبُ

وقلـت لـه نـل ذاك واسـتغن بـالقرى ∴ ومـن ذي الأداوي عنـد ذلـك مشـربُ

وصُـب لـه شـول مـن المـاء غـابر ∴ بـه كـفَّ عنـه الحِيبـة المتحـوبُ(١)

قبل التطرّق إلى سِمات شخصية الشاعر الانهزامية من خلال قناعهـا في الأبيات السابقة، ربما يشغل الفكر سؤالٌ عبر الاستفهام المنفي، وهو أَلَمْ يجد الشاعر شخصية غير عاقلة مثل (شخصية الـذئب) فيصـفها ويصـف أوجاعها؟ إن ما دعا الشاعر لوصف هذه الشخصية ما تشغله من مكانة في مخيِّلة الشاعر العربي القديم، فبالرغم من عداء الذئب للبشر إلا أنه يمتـاز بالذكاء والشجاعة وعدم القبول بالقهر والتوق إلى الحرية، وهذه الصـفات عينها ما يريد الشاعر التأكيد عليها لنفسه، وحينما يُضفي الشـاعر علـى رفيقه الذئب بعضًا من صفات الانهزام والشكوى، فحتمًا ستكون المواجهـة وعدم الاستسلام ولو بعد حين، وهذا ما يريد الشاعر الإشارة إليه.

١ – ديوان الكميت، سابق، ص ٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لقد حمل استدعاء الشاعر لقناع الذئب في الأبيات دلالة مهمة تتمثّل في الشكوى من الواقع الاجتماعي المحيط به، وكأنه وجد في توظيفه ضالته المنشودة ليصل الذات بموضوعها، فصورة الذئب الذي أضرَّه الجوع استبطنت عالم الشاعر الداخلي المفعم بالصراع السياسي والاجتماعي كليهما، وما معاناة الذئب في الحياة إلَّا معاناة ذاته المنهزمة، وإذا كان الذئب صيادًا ماهرًا لا يبقي شيئًا مما يصطاده ويأكله في وقته كما تُشير دلالة البيت الثاني؛ كذلك الشاعر لا يشغله إلا حاضره ويُعلن رأيه صراحة دون التفكير فيما سيترتب على ذلك مستقبلًا، وكأنه يرفض التصالح مع واقعه السياسي الراهن. وحال هذا الذئب الذي تضوَّر من الجوع يأتي معادلًا لنفس الشاعر اليائسة المنهزمة. وشعور الذئب بالحزن والشكوى يُنبئ عن مأساوية الحياة واستعصاء العيش فيها والإحساس بالانهزام نحوها، وبالرَّغم من قتامة الحياة وتجهّم الواقع إلَّا أن محاولات التصالح معها والصمود أمامها ما زالت مستمرة بعدما غدا الشاعر مُنقذًا لهذا الذئب من هلكة الجوع، وهنا تتجلَّى عاطفة الشاعر قوية في مواجهة سلبية الحياة فـ "لا شك في أن للعاطفة الشعرية في مدى ارتباطها بأفكار الشاعر ويقظته الحسية واستشرافه لواقعه الآني واستنطاقه لأحداث عصره المختلفة، دوراً فاعلاً ومؤثراً في النبوغ الشعري الأصيل"(١)، وكأن الشاعر يُشير عبر هذا الصنيع مع الذئب إلى النصر القادم، وتجاوز هذا الواقع المأزوم، واستشراف مستقبلًا أكثر رحابة، وبعث حياة جديدة تعود الذات فيها لِعزها ومجدها، إضافةً إلى حُسن الثواب المُرتجى من الله في الدنيا والآخرة.

١- د/ عناد غزوان: أصداء، دراسات أدبية نقدية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠، ص ٨٨.

(ج) أمارات الشيب ودلالات الانهزام:

لم يتوقف الشعراء عند الوقوف عل الأطلال وبكائها، بل راحوا يبكون الشباب ويذمُّون الشيب، ومِمَّا قاله (ابن عبد ربه) في ذلك: " ما بكت العرب شيئًا مثلما بكت على الشباب، وما بلغت ما يستحقه"(١) وقد كان للشيب أثر نفسي بالغ في حياة الكميت زاده انهزامًا فوق انهزامه، وهذا ما يُلاحَظ فـــي أبياته التالية:

هـــل لحـــالٍ مـــن اقتيـــاضٍ بحـــال ∴ رُبَّ مغبـــــونٍ صـــــفقة غـــــير آل

أم لشـــيبٍ عـــلا المفـــارق بيـــع ∴ بالشـــــباب المرجَّـــــل الـــــذيَّال

كيـــف أشـــري معيشـــة صـــرت فيهـــا ∴ بعـــد ميلولـــة الصِـــبا لاعتـــدالِ

مـــن يبـــع بالشـــباب شـــيبًا فقـــد بـــاع ∴ رخيصًـــا مـــن العلـــوق بغـــالِ

لـــوينـــال الكـــبير في حرفـــة البيـــع ∴ وصـــــرف الأمـــــوال بـــــالأموال

ليلـــة مـــن شـــبابه لم يبعهـــا ∴ مـــن ليـــالي مشـــيبه بليلـــي (٢)

تطل ملامح الانهزام جليةً عند الشاعر وما صـاحبها مـن انتكاسـاتٍ سياسية عبر ثنائية ضدية تمثَّلت في (الشباب والمشـيب)، فجنحـت رؤيـة الشاعر إلى رمزية الشيب السـلبية لتصـير معادلًـا موضـوعيًا للسـقوط السياسي، فبدلًا من أن يصير الشيب ملمحًا يُشير إلىـى الوقـار والرزانـة وعلامة للنضج والخبرة، صار سببًا لحالة الصراع النفسي الـذي يتـراءى دومًا أمامه كلمَّا أحسَّ باقتراب الأجل؛ لأن الشيب هنا لم يكن بسـبب فعـل

١ – ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٣، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م. ص ٤٦.

٢ – ديوان الكميت، مصدر سابق، ص ٣٦٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الزمن وحده بل انضاف إلى ذلك الشعور بالإحباط والضغط النفسي أمام الكبوات السياسية التي تعرَّض لها حزبه السياسي (الهاشميون)، فالمفارقة بين الشباب والمشيب تتجاوز الفارق بين لون الشعر الأسود حال فترة الشباب ولون شعر الرأس الأبيض حال المشيب، فالشباب يذكره بالقوة والعزَّة، وافتخاره بشبابه القوي (المرجَّل) المختال في مشيته (الذيَّال) يُعادل الشعور بالذات وكرامتها إبان موالاته للهاشميين، بينما يأتي انكسار وانحناء الشيب معادلًا للواقع السياسي المتأزم الذي يعيشه الشاعر؛ ولِذا يتحسَّر الشاعر على الشبيبة التي علَت مفارقه، وتمنّىَ أن يعود لمجده ثانية، ولو أن الشبيبة تُستبدَل بمال ويعود صاحبها شابًا لكان أول من فعل، ولو ليلة واحدة. وكذلك نلمح هذا الشعور المتأزم في أبيات الشاعر التالية:

هل للشباب الذي قد فات من طلب ∴ أم ليس غائبه الماضي بمنقلبِ

دع البكاء على ما فات مطلبه ∴ فالدهر يأتي بأنواع من العجبِ

فالشيء بالشيء فانظر في عواقبه ∴ مما إذا هو يوماً غاب لم يَؤُبِ

ليت الشبيبة لم تظعن مقفية ∴ وليت غائبها المألوف لم يغبِ

من يلبس الشيب يذكر من شبيبته ∴ ما لن يعود ومن أثوابه القُشُبِ(١)

يبدو الشعور بالحسرة في الأبيات السابقة عبر المفارقة بين ثنائية الشباب والشيب، وتجلَّى هذا واضحًا عبر أساليب الاستفهام (هل للشباب) الذي يوحي بالحزن عل فقدانه، وأسلوب الأمر في قوله (دع البكاء) الذي يُقرُّ من خلاله بحالة الانكسار أمام سطوة الزمن، وأسلوب التمني في قوله

١ – ديوان الكميت، ص ٩٢.

(ليت الشبيبة لم تظعن مقفية)، ويأتي هذا الشعور انعكاسًا للواقــع المحــبَط الذي يعيشه الشاعر

وهكذا تآزرت سهام القدر متمثلة في الشيب مع سلبيات الواقع المحيط بالشاعر في الكشف عن ملامح الانهزام عنده.

رابعاً- لغة وأسلوب الخطاب الانهزامي عند (الكميت):

تأتي دراسة اللغة في الخطاب الشعري ضرورة مُهمَّة لكونها معيــارًا جماليًا مُحددًا لِسماته الفنّية؛ ولأنها تحمل فكر ناطقها، وتُتــرجم عواطفــه، وعن طريقها يستطيع "أن يوصل تجاربه الخاصة بمنتهــى القــوة النافــذة، وبغاية الدقة والوضوح، مع تصوير دقيق للتفاصيل الخفية"[١]

وصدق العاطفة وذوق الشاعر يفرضان عليه انتقاء ألفاظه وأســاليبه اللغوية لتخرج التجربة الشعرية في أبهى حلَّة فنية، فالألفاظ وليدة العاطفة، وبالنظر في خطاب (الكُميت) الشعري لاستجلاء ما به من معــاني الانهــزام نجد أن الشاعر قد وفِّقَ إلى حدٍ كبير في اختيار ألفاظه وأساليبه اللغوية التي تحمل هذا الشعور الانهزامي، وهذا ما يتراءى واضحًا في أبياته التالية:

هــل زائــر للــهموم ذائــدها ∴ عــن ســاهر ليلــة يســاهدها
بــات لهــا راعيًــا تفارِطُــهُ ∴ أورادُ هــمّ شــتّى موارِدُهــا
أهــون منهــا ذِيــادُ خامسـةٍ ∴ في الــوِردِ أو فيلــقٍ يُجالــدُها
تُقيمُــهُ تــارَةً وتُقعــدهُ ∴ كمــا يُفــاني الشــموسَ قائــدُها(٢)

---

١ – لاسل آبر كرمني: قواعد النقد الأدبي، ترجمة: د/ محمد عوض محمــد، سلســلة آفــاق ثقافية (٣٨) وزارة الثقافة – دمشق – ٢٠٠٦م ، ص٤٥.

٢ – ديوان الكميت، ص ٤٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تتحدَّد ماهية الذات المنهزمة في الأبيات السابقة عبر أساليب الشاعر اللغوية التي تُجسِّد عاطفته، فقد استهلَّ الشاعر أبياته بأسلوب الاستفهام الإنشائي في قوله (هل زائر للهموم ذائدها) الذي يحملُ بوحًا شعوريًا كاشفًا لحالة الانهزام النفسي الذي يُعانيه الشاعر بسبب همومه وأحزانه ولا يجد من يدفعها بعيدًا عنه، وتقوم لغة الشاعر بدورها في الكشف عن ملامح تلك الذات المكتئبة عبر قوله (ساهر ليلة، يساهدها، أوراد همٍّ، تُقيمه تارةً وتُقعده) وكلُّها ألفاظ تحمل نفثاتٍ حرَّى تنبعث من أعماق نفس مأزومة. وتأتي الأساليب الخبرية في البيت الثاني والثالث والرابع لِتُقرِّر وتكشف عن شعور الذات بالانهزام مثل قوله (بات، أهون، تقيمه) فهذه الأفعال تعرض حقائق واضحة وتكشف عن مرارة الصراع النفسي الذي تعيشه الذات.

وللخيال قيمة كبيرة في تجسيد شعور الانهزام لدى الشاعر، ولغة الشاعر الإبداعية هي الحاملة لصوره الفنية؛ ومن ثمَّ فإن" دراسة الصور مجتمعة قد تُعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة، وذلك لأن الصورة وهي جميع الأشكال المجازية، إنما تكون من عمل القوة الخالقة، فالاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر"[١] فاستحضار صورة الإبل في البيت الثاني تأتي معادلًا موضوعيًا لهموم الشاعر المُطبقة عبر التشبيه التمثيلي في قوله (بات لها راعيًا)، وقد صار وِردها للماء بمثابة إقبال على الأحزان بدلًا أن يكون سببًا للارتواء، وكأن الذات الشاعرة هنا استعذبت الأحزان واستسلمت للروح الانهزاميَّة المهيمنة. وممَّا يُعضِّد من تلك الرؤية الانهزامية استدعاء صورة الذياد (الذي يسوق الإبل ويدفعها) في البيت الثالث ليكون مُعينًا في دفع الأحزان بعيدًا عنه بعد أن هانت حالته

١- د/ إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط٣، (د.ت)، ص ٢٣٨.

عليه، ونستشعر عبر هذا التوظيف الفني ذلّ الذات وهوانها، وتطلُّ علينا في البيت الرابع صورة تشبيهية تكشف عن مـدى معانـاة الـذات الشـاعرة وانهزامها، وذلك في قوله (تُقيمُهُ تارَةً وتُقعدهُ كما يُفاني الشموسَ قائـدُها) وهي صورة مستوحاة من بيئة الشاعر البدوية تُنبئ عن عجزه عـن دفـع الهموم والأحزان مثل حال من أعيته الشموس (الصعب العسِر من الخيـل) عن ترويدها، وتكشف الألفاظ الحاملة للصورة الجو النفسي المفعم بـالتوتر والقلق. ومثل هذا الشعور بالانهزام نجده في بيت (الكميت) التالي:

تبـاريحُ هَـمٍّ لـو تكلِّـف بَعضَـهُ ذُرَى ∴ حَضَـنٍ لارفـضَّ منهـا صَـلِيدُها(١)

يحمل البيت السابق نزعة انهزامية مصدرها الحزن والألـم المهـيمن على الذات، وتتولَّى مفردات البيت عبر التوظيف الفني لها الكشف عن ذلك الشعور النفسي، فجاءت كلمة (تباريح) بصيغة الجمع لتدلّ على كثرة الهموم المحيطة بالشاعر، وحمل قوله (لو تكلِّف بَعضَهُ ذُرَى حَضنٍ) مزيدًا من عُمق المعاناة والمأساة التي تعانيها الذات، فهذه الهموم لو وضِعت بقمـة جبـل (حَضَنٍ) وهو جبل بأعلى نجد تفرَّق عنها (صَلِيدُها) منفـردًا بعيـدًا عنهـا عاجزًا عن مواجهتها، فقد استطاع الشاعر عبر دلالة هذه المفردات إقامـة واقعًا نفسيًا انهزاميًا موازيًا لواقعه الخارجي المُحزن.

وقد يتمظهر شعور الانكسار لدى الشاعر في صـورة مختلفـة عـن سابقتها؛ وذلك بسبب الشعور بالخوف والاضطهاد من الآخـر مثـل أبياتـه التالية التي يُعاتب فيها قريشًا (بني أميّة) بسبب عدائهم لبني هاشم، يقول:

رمـتني قـريش عـن قِسـيّ عـداوة ∴ وحِقْـدٍ كـأن لم تـدرِ أنـي قريبهـا

---

١ – ديوان الكميت، ص ١٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

توقِّــع حــولي تــارة وتصــيبُني ∴ بنبـل الأذى عفـواً جزاهـا حسـيبُها

وكــان سِــواغاً إذ عثــرت بغُصَّــةٍ ∴ يضـيقُ بهـا ذَرْعـاً سـواها طبيبُهـا

أفي كــل أرض جئتهــا أنــا كــائن ∴ لخــوف بــني فهــرٍ كــأني غريبهــا

وإن كنـت في جِـذْم العشـيرة أقبلـت ∴ عليَّ وجوه القوم كرهاً قُطُوبها(١)

انتقى الشاعر في أبياته السابقة ألفاظه بدقّة، وكشف معجمه الشــعري عن شعور الخوف واحساس الذات بالاغتراب بسبب موالاتها للهاشــميين، وجاءت أساليب الشاعر معظمها في الأبيات خبرية لتحمــل هــذا الشــعور وتُقرِّره، وقد تضمَّن البيت الأول جملةً من الألفاظ التي تُحيــل إلــى دلالات التهديد والمكيدة، وذلك في قوله (رمتني قريش، عداوةً وحقد، لــم تــدرِ)، ونستشعر إحساس الذات بهزيمتها أمام قريش (بني أميَّة) واعترافها بــذلك في قول الشاعر (كأن لم تدرِ أني قريبها) الذي يوحي برغبته في التصــالح معها، وكذلك حملت مفردات البيتين: الثاني والثالث معاني التربّص وإلحــاق الأذى به مثل قوله (توقع حولي تارة، تصيبني، غصَّة يضيق بهــا ذرعًــا)، وأكثر ما تجلى شعور الانهزام بسبب الخوف في البيتين الأخيرين، فقد جملت لغة الشاعر المنتقاة بدقة ملامح هذا الشعور، فقوله (أفي كل أرض جئتهــا) يوحي بترصَّد الأمويين له أينما سار، وكذلك قوله (كائن لخوف بني فهــر) التي تدلُّ على استمرار حالة الذعر التي تعيشها الــذات ومــدى إحساســها بالاغتراب النفسي والاجتماعي.

وهكذا قامت لغة الشاعر في خطابه الانهزامي بدورها في الكشف عن ملامح الانهزام، وجاءت صوره الفنيَّة مُعينًا قويًا لكشف الصــراع الــداخلي الناجم عن حالة الانهزام التي يعيشها.

١- د/ داود سلوم: شعر الكميت بن زيد الأسدي، ج١، القسم الأول، ص ١١٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

١.ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٣، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م.
٢.أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ط٢، ١٩٩٢م، ٣٢٨/١٦.
٣.أبي الحسن بن علي المسعودي: "مروج الـــذهب ومعـــادن الجـــوهر" ، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٥م.
٤.جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، مجلد ١ ، دار صادر بيروت، ط١، د.ت.
٥.عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبـــة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م.
٦.الكميت بن زيد الأسدي: ديوان الكميت، تحقيق: د/ محمد نبيل طريفـــي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

ثانياً المراجع العربية:

١.إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط٣، (د.ت).
٢.الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شـــاييم بيرلمـــان، دار الكتـــاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠١٤م.
٣.حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.
٤.الزاوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلـــى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥.شرح هاشميات الكميت، د/ محمد نبيل طريفي، بتفسير أبي رياش: أحمد بن إبراهيم القيسي، دار صادر للطباعة، ط١، ٢٠٠م.
٦.صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.
٧.عادل جاسم البياتي: دراسات في الأدب الجاهلي، منطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية، ط١، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
٨.عبد الحسيب طه حميدة: أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الزهراء، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م.
٩.عناد غزوان: أصداء، دراسات أدبية نقدية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠، ص ٨٨.
١٠. كامل محمد محمد عويضة: التحليل النفسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
١١. مأمون بن محي الدين الجنَّان: الكميت بن زيد الأسدي الشاعر السياسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
١٢. محمد الصادق حسن عبد الله، خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.
١٣. نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م.

ثالثا كتب مترجمة باللغة العربية:

١.ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة د/عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٢.فولفجانج آيزر: فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) ترجمة: د/ حميد لحمداني، د/ الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، الدار البيضاء فاس ، ١٩٩٥م.

٣.فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ت: الولي محمـــد، المركـــز الثقـــافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
٤.كريستيان بلانتان: الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، مراجعة عبـــد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
٥.نورمان فيركلو: الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة: رشاد عبـــد القادر، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافيـــة، فلســـطين، عـــدد ٦٤، م٢٠٠٠م.

رابعاً المجلات والدوريات:

١.رضا بن حميد: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي الى التشكل البصري، مجلة فصول ، الشعر العربي المعاصر ، الجزء الأول ، المجلد ١٥ العـــدد الثاني صيف ١٩٩٦م.
٢.لاسل آبر كرمني: قواعد النقد الأدبي، ترجمة: د/ محمد عوض محمـــد، سلسلة آفاق ثقافية (٣٨) وزارة الثقافة – دمشق – ٢٠٠٦م.

خامساً مراجع أجنبية:

- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale 1966 P.241- 242.

سادساً مواقع إليكترونية:

١.ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، https://al-maktaba.org/book/23789/416.
٢.عبد المتعال الصعيدي: الكميت شاعر العصر المرواني، مجلة الرسالة، عدد ٢٢٩، موقع إليكتروني، https://ar.wikisource.org//.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٧٩
٢.	Abstract	٥٨١
٣.	المقدمة	٥٨٣
٤.	أولاً – مفهوم الخطاب ودوره في عملية التواصل .	٥٨٦
٥.	ثانياً- تمثلات الشخصية المنهزمة بين أصالة الهوية والرَّغبة المتحولة في شعره.	٥٩١
٦.	ثالثاً – الملامح الفنيَّة المميِّزة لخطاب الانهزام في شعر الكميت.	٦٠٤
٧.	رابعاً - لغة وأسلوب الخطاب الانهزامي عند (الكميت) .	٦١٣
٨.	قائمة المصادر والمراجع	٦١٧
٩.	فهرس الموضوعات	٦٢٠

تم بحمد الله